- السنـــــة الثانيـــة ، الفـــــوج : (03),(04),(05) .

قســـــم عـــلـــــــــم الاجتمـــــاع

المـــــــــــادة : تاريخ الجزائر المعاصر

الأســتـــــاذ : مقنيـــن صالـــــح

مُحاضـــــــرات في تاريـــــــــخ الجزائـــــر

"الدولـــــة الحمَاديـــــــة ببِجايـــة"

عنابة في : 2021/03/30

الأستـــــاذ : مقنين صالح

دَوْر بُلدان المغرب الإسلامي في نهضة أوروبا:

- إنَّ حَضارة هذا الإقليم الاسلامية هي التي حملها شعب هذا الاقليم نَفسُه إلى أوروبا عَبر جَناحيْه: شِبْه جزيرة إيبيريا في شماله الغربي وبجاية وصقلية في شماله الشرقي، ومن هناك تسربت، وانتقلت إلى معظم بلدان أوروبا الجنوبية والوسطى والغربية، التي كانت تعيش أزمة تخلف حادة ورهيبة في كل مجالات الحياة: السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية ويسودها الظلم والجبروت والفقر والجهل والمرض وتتحكم الكنيسة في رقاب الناس وتطغى ظاهرة الرق، وأقنان، الأرض والطبقية الاجتماعية المقيتة(1).

- وتُعتَبر جَزيرة صقلية المثلثة الشكل احدى المعابر الأربعة للحضارة العربية الاسلامية في طريقها إلى بلدان أوروبا المختلفة(2) وهي تقسم البحر المتوسط إلى قسمين ولا تبعد كثيرا عن الحذاء الايطالي إذ لا يفصلها عنه سوى مضيق مسينا الذي لا يزيد عرضه على ثلاثة كيلومترات. وقد فتحها الأغالبة أوائل القرنين الثالث الهجري (212هـ) والتاسع الميلادي (827م). وبقيت تحت الحكم الاسلامي حوالي ثلاثة قرون، واهتموا فيها بتطوير أنماط الفلاحة ووسائل الري، واستصلاح الأراضي وإقامة الترع والسدود، والقنوات، والمجاري المائية، وأدخلوا إليها زراعة القطن، وغراسة قصب السكر، واستغلوا ثرواتها المعدنية كالحديد، والنحاس والفضة، في صناعات العملات، والنقود، وبعض الأدوات، كما أدخلوا اليها صناعة الحرير والورق، ونشطوا الحركة التجارية،وطوروها ثم اتجهوا إلى النشاط العلمي، والابداع

الثقافي حتى حولوا الجزيرة إلى معقل للعلوم والمعارف الاسلامية، والانسانية، مما جعل الشريف الادريسي والرحالة ابن جبير، يتغنيان، ويشيدان بمفاخرها العمرانية والاقتصادية وبقصور ومساجد واحياء مدن: باليرمو، وسرقوسة، ومازرة، ومرسى علي، وغيرها(1).

- وعندما سقطت هذه الجزيرة في أيدي النورمان، في مطلع النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، اهتم ملوكهم بالتراث العربي الاسلامي، على عكس الأسبان في الأندلس، فشجع روجر الأول ROGER مظهر الحركة الفكرية والثقافية الاسلامية، وزعماء الجالية الاسلامية الافريقية بها، وكتب على مراسيمه باللغة العربية إلى جانب اللاتينية واليونانية، كما كتب على نقوده بها، وكذلك فعل روجر الثاني، فكلف الشريف السبتي الادريسي بتأليف كتاب له عن جغرافية الأرض وأقاليمها، فأنجزه له، وما يزال حتى اليوم في متحف نورمبورق الرداء الحريري الذي كان ملوك النورمان يرتادونه خلال التتويج، وهو مطرز بكتابات عربية بالخط الكوفي يعود تاريخه إلى عام 1133م. وحتى فريدرك الثاني في القرن الثالث عشر أحاط نفسه بالمظاهر العربية الاسلامية، وبحاشية اسلامية افريقية حتى دعي بالامبراطور نصف الشرقي، لأنه كان يشجع العلماء والجغرافيين والفلكيين والأدباء المسلمين ويرعاهم، ويجمعهم حوله، ويستعين بآرائهم ويجلهم(2).

ومن هذه الجزيرة الصغيرة حجما، والعظيمة تقدما، وتحظرا، وبفضل الاسلام الذي حمله إليها مسلموا القيروان، والمسيلة، والمهدية، وجيجل، وبجاية، أخذت الحضارة الاسلامية الافريقية طريقها إلى مدن الحذاء الايطالي، (قلورية) مثل: أمالفى، وبيزة، وجنوة، وسالرنو، وغيرها، ومنها إلى فرنسا، وكل بلدان غرب أوربا ووسطها.

- ووجد الأوربيون عندما استيقظوا من نومهم، تراثا اسلاميا هائلا، ومعينا لا ينضب من العلوم والمعارف والمؤلفات العربية الاسلا مية، في شتى أنواع العلوم والفنون فاستغلوها واستفادوا منها ووجدوا ظالتهم، التي عوضتهم عن كابوس الكنيسة، وتزمتها وعن الدائرة الثقافية الضيقة التي حاولت الكنيسة أن تفرضها عليهم، فتطلعوا إلى حياة علمية وفكرية أكثر خصبا وتنوعا وفي جو من الحرية التي أعتاد عليها ابن رشيق، وسحنون، وابن رشد وأمثاله من الأدباء والمفكرين والفلاسفة المسلمين وانكبوا على دراسة مظاهر الحضارة الاسلامية بشغف، وحماس، وفهم وشراهة، منقطعي النظير، ترك آثارا واضحة في الحياة الفكرية الأوروبية وفي جامعات أوروبا منذ أواخر القرن الثاني عشر الميلادي.

- وكانت جامعة بادوا بايطاليا من بين الجامعات الأوروبية التي كان نفوذ الفكر الإسلامي بها لا يقل شأنا عنه في مونبيلي بفرنسا، وأصبحت الدراسات الاسلامية ذات شأن كبير جعلت بترارك يصيح في وجه مواطنيه قائلا: يا للعجب لقد استطاع شيشرون أن ينبغ في الخطابة بعد ديموستين واستطاع فرجيل أن ينبغ في قرض الشعر بعد هيوم فهل قدر علينا نحن ألا نكتب بعد العرب لقد أدركنا الأغريق، وجميع الشعوب وسبقناها في بعض الأحيان ما عدا العرب (المسلمين) فياللحماقة؟ وياللجهل؟ وياللعبقرية الايطالية الخامدة(1) انه نداء وتحسر فيه ما فيه من المرارة والحسرة والألم.

- قيام مركز بجاية الحضاري:

- تأسست مدينة بجاية في بداية النصف الثاني من القرنين: الخامس الهجري، (460هـ) والحادي عشر الميلادي (1067م)، على أيدي الأمير الناصر بن علناس الحمادي، كصنوة لقلعة بني حماد التي هي صنوة لمدينة أشير.

- وكانت في الأصل ميناء بحريا قديما يُدْعَى صَلْدَايْ، يَرِدُ عليه البَحَارة منذ عهد الفينيقيين وعندما أسَسَهَا النَاصِرْ سَمَاها: النَاصِرية ولكن الناس غلبوا عليها اسم «ابْقَايَتْ»، البربري الذي كان إسما لإحدى القبائل الأمازيغية القاطنة هناك حسب رواية ابن خلدون. وما تزال هذه التسمية الأمازيغية حتى اليوم مُستعملة من طرف سكان المنطقة ذوي الأصول الأمازيغية وهي التي صُحفت بالعربية وأصبحت هكذا بجاية في المصادر العربية والنُطق العربي.

- وقد أُسِسَتْ بجاية عَلَى السفح الشرقي للجبل الذي يشرف على البحر إلى جوار مصب وَادي الصُوْمَام الكبير غربا، وعندما انتقل إليها النَاصِر بن عَلنَاسْ عام 461هـ أسس فيها ورشتين لبناء السفن والمراكب البحرية الحربية والتجارية، وقصرا لزوجته بلارة بنت تميم بن المعز أمير المهدية الصنهاجي، وتوسع عمرانها بعد ذلك حتى أصبح بها إحدى وعشرون حيا، و 72 مسجدا و 150 ألف ساكن، وقصور وحمامات ودكاكين وتكايا ووكالات، وكتاتيب، وورش لصناعة الخشب، والأدوات الطينية، والنحاسية والحديدية والحلي الفضية والذهبية، وجلب إليها الماء عبر السواقي والقنوات العلوية واهتم الفلاحون حولها وفي فحصها بفلاحة الحبوب وغراسة: الأشجار المثمرة وتربية الحيوانات وتوفير المؤن والأغذية والحبوب والخضر والفواكه، واللحوم، ونشطت بها صناعة الأسلحة والذخائر والعتاد الحربي كالحبال، وصناعة الشموع، والأدوات الخشبية والطينية والطرز، والنسيج ونسخ الكتب، وصناعة الورق ومن أبرز قصورها: قصر اللؤلؤة، وقصر أميمون بجوار ضريح سيدي التواتي، وقصر الكوكب، وقصر بلارة، وقصر الرياض البديع الغربي، وقصر الرياض البديع الشرقي.

- وقد وصف صاحب الاستبصار قصر اللؤلؤة فقال: وفي بجاية موقع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الرائون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة

المنحنية، والمجالس المقرضة المبنية حيطانها، بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب والأزورد وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة، وأنزلت بالذهب وصورت فيها الصور الحسنة فجاءت من أحسن القصور منزها وجمالا(1).

- وكان الشريف الادريسي أبلغ في إبراز ما وصلت إليه بجاية من رقي وتطور حضاري هائل في منتصف القرن السادس الهجري (12م)، فقد قال: (بجاية في وقتنا هذا (548هـ ــ 1153 ــ 1154م) مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا، مجلوبة، والبضائع نافقة، وأهلها مياسير تجار. وبها من الصناعات ما ليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشذوذ وتباع البضائع بالأموال المقنطرة. ولها بواد، ومزارع والحنطة والشعير، بها موجودان كثيران والتين وسائر الفواكه بها منها ما يكفي لكثير من البلاد وبها دار صناعة لانشاء الأساطيل والمراكب والحرابي لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران، وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب، من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب، وكلما بعد عن البحر، كان ماؤه قليلا. ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد وهي قد عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد»(2).

- وقد وَطَدَ الحَمَّاديُون في أوَل عَهْدِهم صِلاَتِهمُ الوُدِيَة بِرُومَا، والجُمْهوريات الأيطالية الأخرى وابرم الناصر معاهدة مع بيزا، وخول لتجارها حق المتاجرة مع بلاده، وتراسل مع البابا قريقوري السابع الذي

أجابه برسالة أبلغه فيها سروره على قبوله بتعيين أسقف مسيحي في كنيسة بعنابة، وعلى إطلاقه سراح أسرى مسيحيين، وتعهد. باطلاق سراح كل من يقع في الأسر بمملكته. وجدد الموحدون هذه المعاهدة مع بيزا وجنوة والبندقية ومرسيليا، وقطالونية، وبروفانس وكثر تردد تجار هذه المدن على بجاية للتجارة والاستفادة، من المعارف الاسلامية المزدهرة بها[1].

رُوَاد الفِكْر والثقَافة في مَرْكَزْ بجاية الحضاري:

- شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية هائلة خلال العصر الحمادي، والعصور التي تلته إلى مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وقامت بها مدارس ومعاهد علمية ذات شهرة، ومساجد جامعة، وزوايا صوفية عريقة، ونبغ بها علماء أجلاء، وفقهاء ذوو الرأي في الشريعة الاسلامية وشعراء فحول وحكماء متضلعون في الفلسفة والحكمة وعلم التوحيد ولغويون مبرزون، ومحدثون أمناء ومدققون في الرواية، ومتصوفون في القمة، ورياضيون مبتكرون وطلاب علم ومعرفة من كل أنحاء العالم الاسلامي شرقه وغربه من الأندلس إلى بلاد فارس ومن بلاد أوروبا، خاصة إيطاليا وجنوب فرنسا، وبلاد اليونان.

- وحسب رِوَاية أبي حامد الصغير الحسن بن محمد المسيلي، فان بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرنين 6 هـ و 12م[2]. كما كان بها أطباء ورياضيون ومقرئون. وذكر ياقوت الحموي بأنه حتى العوام والعمي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري، والمدونة والموطأ، ويشرحونها للناس من ذاكرتهم[3] وهي شهادة لها مغزاها ومدلولها.

ومن أبرز الأعلام التي يمكن الاشارة إليها في هذا الميدان: الفقيه الفضل بن سلمة البيجاني (319هـ ـ 931م)، والرحالة المقرىء أبو القاسم يوسف البسكري (403 ـ 465هـ ـ 1012 ـ 1072م) والفقيه الفيلسوف محمد بن علي بن الرمامة (478 ـ 567هـ ـ 1085 ـ 1171م) والفقيه المحدث أبو عبدالملك مروان البوني (439هـ ـ 1047م). واللغوي النحوي الحسن بن علي التيهرتي (501هـ ـ 1108م) والعلامة يوسف الورجلاني (500 ـ 570هـ ـ 1106 ـ 1174م) والفقيه الفيلسوف أبو حامد الصغير المسيلي (580هـ ـ 1185م) والحجة الحافظ أبو عمران الأشيري (859هـ ـ 1193م) والقاضي الفيلسوف محمد بن ابراهيم الأصولي (612هـ 1216م) والأديب المؤرخ محمد بن حماد الصنهاجي (628هـ ـ 1230م) والفقيه المقرىء أبو محمد عبدالسلام الزواوي (589 ـ 681هـ ـ 1193 ـ 1282م) والنحوي اللغوي يحي بن معطي الزواوي (628هـ ـ 1231م) والأديب محمد بن الحسن القلعي (673هـ ـ 1274م) والفقيه المقرىء والمؤرخ أبو زيان ناصر بن مزني البسكري (ت 23هـ ـ 1420م) والعالم ابراهيم بن فايد الزواوي (ت 847هـ ـ 1453م) والأديب الشاعر محمد عمر المليكشي (ت 740هـ ـ 1339م) والعلامة أحمد الغبريني (ت 644هـ ـ 704م) والصوفي أحمد بن إدريس، والفقيه المجتهد عبدالرحمن الوغليسي، ومحمد المشدالي (تت 864هـ ـ 1466م) وعبدالرحمن الثعالبي (ت 875هـ ـ 1470م) والقطب الصوفي أبو مدين شعيب بن الحسين (ت 595هـ) وغيرهم ممن يطول ذكرهم، وقد ترجم الغبريني في كتابه: «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» لأكثر من مائة وعشرة من العلماء، والفقهاء والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء والرياضيين والفلكيين والمتصوفة والفلاسفة والمحدثين والمناطقة وغيرهم، ممن أنجبتهم بجاية أو جاؤوا إليها من الأصقاع البعيدة واستقروا

بها، ليتعلموا ويكتبوا ويؤلفوا الكتب وينسخوا المؤلفات ويقرئوا القرآن أو مروا بها وأقاموا مدة ثم رحلوا إلى المشرق أو المغرب.

وهذا الحشد من العلماء والمفكرين في هذا المركز الثقافي والحضاري البجائي برقعته الواسعة أثروا الحضارة العربية الاسلامية في مختلف مجالاتها، هنا بالجزائر وفي كل أصقاع المغرب والأندلس وبلدان المشرق الاسلامي وشاركوا في نهضتها وتطورها ورقيها، وتوسيع مجالاتها ومفاهيمها، علما ودراية واستيعابا، وتأليفا وابداعا وكانوا في المستوى المطلوب.

- نماذج مما قدمه الغرب الاسلامي إلى أوروبا من مظاهر حضارية:

- لقد شملت جُهود المسلمين الحضارية ميادين كثيرة في الآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والطب والجغرافية والفنون والصناعات وغيرها وكان لشعوب المغرب الاسلامي دور بارز ورائد في ذلك ابداعا وتأثيرا وايصالا إلى أوروبا بعد ذلك.

- في ميدان الأدب:

- ففي ميدان الأدب كان الفكر اللاتيني يتصف بالجفاف، والجمود بينما الآداب الاسلامية تتصف بالخصوبة والابداع والحيوية ولذلك اتجه إليها الأوروبيون ليشفوا غليلهم ويشبعوا نهمهم، وليزيلوا ذلك الجمود الذي سيطر على عقولهم حقبا طويلة من الزمن مما جعل الباحث روسكين جب يقول «ولعل خير ما أسدته الآداب الاسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر ونثر العصور الوسطى[1] وتمكن الأوروبيون بفضلها من خلق نزعة جديدة في آدابهم الأوروبية تتمثل في النزعة الرومانطيكية خاصة في ميدان الغزل الرقيق والرثاء الباكي[2].

وبالطبع فان الآداب العربي الإسلامي المغربي هو الذي أحدث ذلك التأثير الكبير والبالغ في الدراسات النثرية الأوروبية خاصة القصص الخرافية ذات المغزى والهدف الاخلاقي التي تتخذ الحيوان موضوعا لها، سواء عن طريق الأندلس أو بجاية، والقيروان، وصقلية. وهذا ما جعل جب، يؤكد بأنه لا يستطيع أحد ان ينكر أن ما تمتاز به آداب جنوب أوروبا من انبساطة وخيال خصب إنما يرجع إلى تأثرها بالبيئة العربية والى ما خلفته العربية في أهل الأندلس من تأثير(1) ونضيف نحن مسلمي صقلية وجنوب إيطاليا، والأمثلة على ذلك كثيرة مثل: إيزود ذات اليد البيضاء وفلوار **واليد** البيضاء والقاسني نيكولت، ودون كيشوف والكوميديا الالهية والدوكاميرون وغيرها(2).

- في ميدان الفلسفة:

- وفي ميدان الفلسفة يعتبر ابن رشد وابن طفيل وابن باجة على رأس قائمة فلاسفة المغرب الاسلامي الذين أثروا في فسلفة أوروبا وحرروها من الجمود والروحانية والخيالية غير الواقعية، ومن فكرة الالحاد. وفي رقعتنا الجغرافية البيجائية الجزائرية يمكن ان نشير إلى أبي حامد الصغير المسيلي المشار إليه سابقا، والذي شبه بغزالي المشرق، لاجتهاداته المتنوعة في الفلسفة والحكمة والفقه، والتوحيد.

ان تعاليم ابن رشد الفلسفية وتلاميذه من بعده، هي التي حفزت الأوروبين ودفعتهم إلى عصيان تعاليم الكنيسة والأخذ بمبدأ الفكر الحر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة كما أثرت في فلسفة توما الأكويني (1225ـ1274م) تأثيرا كبيرا الدرجة أن الفصول التي كتبها عن العقل والعقيدة وعن عجز العقل عن إدراك الأسرار الألهية. عبارة عن مقابلة لما كتبه ابن رشد في باب: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة(3).

- في ميدان الرياضيات: :

- ولعل ميدان الرياضيات يبرز أكثر دور مركز بجاية الثقافي والحضاري ومدى تأثيره على جنوب أوروبا، وايطاليا بالذات، فقد خطا المسلمون خطوات هائلة ولربما عملاقة في تطوير علوم الحساب، والهندسة، والجبر، والميكانيكا، وحساب المثلثات والفلك فنقلوا أصول هذه العلوم من الاغريق والهنود، ثم عكفوا على دراستها والاستفادة منها، فأصلحوا ما بها من أخطاء وأكملوا ما بها من نقص، وأضافوا إليها بعد ذلك معلومات جيدة خاصة مادة الحساب لم يكن الأوروبيون على علم بها. ولم يتعرفوا عليها الا منهم وبواسطتهم. فَهُمَ الذين عَرَفُوهُمْ بِنَظام الأعْدَاد العِشرية، والصِفْر، اللذين يمثلان، ثورة في علم الحساب والرياضيات واستطاعوا بهما أن يزيلوا ذلك التعقيد الذي كان في النظام العددي الروماني واستعملوا نظام الترقيم بدلا من نظام الجمل الذي كان سائدا في العصور القديمة، فقد تمكن المسلمون من ايجاد نظام الخانات للأعداد، ووضع صفوف الآحاد، والعشرات، والمائات والآلاف، وما بعدها، وصار بالامكان تغيير قيمة الرقم، حسب الخانة التي يوضع فيها. والمسلمون هم الذين اختاروا سلسلتي: الأرقام الهندية والمستعملة حتى اليوم في بلدان المشرق الاسلامي، والأرقام الغبارية المستعملة في بلدان المغرب الاسلامي والأندلس. ومسلموا المغرب الاسلامي هم الذين استعملوا الدائرة صفرا، فنقلها عنهم الأوروبيون عبر الأندلس وبجاية وصقلية.

- ومِنْ أعْلام المسلمين في الرياضيات بالمغرب الإسلامي مَسْلَمة المجريطي (ت 1007م) وتلاميذه: ابن السمح، وابن الصفار، والكرماني، وأمية بن الصلت[1]. ومن الذين نقلوا نظام الحساب الغباري، ونظام

الصفر إلى أوروبا من الأندلس البابا سلفيستر الذي. كان يُدعى جِلبرت خلال حكم الخليفة الأموي أواخر القرن العاشر الميلادي[1].

- ومن الذين نقلوه من بجاية بالجزائر، الرياضي البيزي لوناردو فيبوناتشي، الذي كان أبوه الطبيب، بوناتشيو رئيسا للمركز التجاري البيزي ببجاية. فقدْ ولد في ببيزا عام 1180م والتحق بوالده في بجاية بعد أن عين في تلك الوظيفة فاهتم بتعليمه وأوكله إلى أستاذ يدعى علي البجائي، ليعلمه ويثقفه، فانكب على دراسة مادة الحساب والرياضيات بصورة خاصة وعاشر التجار والحرفين البجائيين حتى تعلم وأخذ منهم ما عرف بطريقة العد السريعة مستخدما الأرقام الهندية الغبارية التسعة والصفر الدائري.

- وبعد أن استنفذ ما عند أستاذه وشيخه سيدي علي البجائي شد الرحال إلى معظم بلدان المغرب الاسلامي وصقلية، والشام، ومصر، حيث أطلع على جهود المسلمين في الرياضيات واكتسب خبرات ومعارف واسعة فيها، فاعتكف على التأليف. ووضع كتاب الغد عام 1202م وكتاب الهندسة التطبيقية عام 1220م، وكتابين آخرين في نفس المادة ابتكر فيهما طرقا وأساليب جديدة لحل معادلات حسابية وهندسية من الدرجة الأولى والثانية.

- وبذلك كان من الرواد الأوروبيين الأوائل الذين استفادوا من الرياضيات الاسلامية بالجزائر ونقلوا إلى أوروبا الأرقام الغبارية، والصفر الدائري، والطريقة العشرية، والحساب والجبر والهندسة العربية بعد أن طورها المسلمون وهذبوها ونقحوها، وأضافوا إليها أشياء جديدة كما رأينا[2].

- في ميدان الفلك:

وهكذا أيضا زود الفلكيون المسلمون بالمغرب الاسلامي، أوروبا بالمعلومات والنتائج الفكلية الهامة التي توصلوا إليها، ومن أبرزهم ابراهيم الزرقالي (1029 ــ 1087م) الطليطلي وإبراهيم السهلي البلنسي، وجابر بن أفلح الاشبيلي والحسن المراكشي، واسحاق البطروجي الأشبيلي، وترجم تراثهم إلى اللغة اللاتينية وباقي اللغات الأوروبية الأخرى منذ القرن 13 إلى القرن 19م(1).

- في ميدان الطب والصيدلة:

ولبجاية، ومعبر صقلية دور هام في إمداد أوروبا بتجارب مهمة في ميدان الطب، والعلاج والجراحة والصيدلة فقد قام المسلمون بترجمة تراث اليونان وطوروه ونقحوه، حتى أصبح علما مقننا بقواعد، وأصول، ووسائل، وتصدي جيل من العلماء المسلمين لذلك خصص لهم ابن أبي أصيبعة مجلدا خاصا من كتاب: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، للتعريف بهم وبمجهوداتهم العلمية وابتكاراتهم التي توصولوا إليها. لأنهم قاموا بتعديل الكثير من الحقائق الطبية الخاطئة وتصحيحها. وأضافوا أبوابا جديدة في الطب والصيدلة وطرق العلاج لم يسبقهم إليها أحد.

وذلك في نفس الوقت الذي كان فيه رجال الدين بأوروبا يعتبرون المرض نوعا من العقاب والجزاء الإلهي، لا ينبغي للإنسان أن يعالجه وانما عليه أن يهرع إلى دير أو كنيسة، ويبقي هناك لعل المعجزة تشفيه، وقد روى أسامة بن منقذ حوادث ونماذج كثيرة توضح الفرق الكبير بين مستوى

المسلمين الرفيع ومستوى الفرنجة المنحط حتى في أبسط مبادىء الطب والعلاج خلال الحروب الصليبية ببلاد الشام[1].

- ومن أبرز أطباء الغرب الاسلامي أطباء عائلة ابن زُهر، ومؤلفاتهم وتجاربهم وابن البيطار المالقي، وابن حزم، وابن اندراس البجائي، وغيرهم الذين ترجمت كتبهم ومؤلفاتهم عدة مرات إلى اللاتينية منذ مطلع القرن السادس عشر وبقيت مراجع أساسية للأوروبيين إلى منتصف القرن الثامن عشر.

- ويُعتبر أبو القاسم الزهراوي القرطبي (936ـــ1013م) من الأطباء والجراحين الكبار في الغرب الاسلامي ابتكر عدة عمليات جراحية دقيقة في العيون، والأسنان، والولادة من ضمنها سحق الحصاة في المثانة واستخراجها وكي الجراحات، وتشريح الأجسام حية وميتة، وقد اقترح عندما كان طبيبا في قصر الحكم الثاني استخدام النساء كمساعدات وممرضات، لأن ذلك أدعى للرحمة والحنان. والاطمئنان، ووصف في كتابه: «التصريف لمن عجز عن التأليف» أكثر من مائة آلة جراحية، الكثير منها من صنعه واختراعه. وترجم كتابه واتخذ مرجعا في مدرستي سالرنو الايطالية. ومونبيلي الفرنسية[2] سنوات طويلة.

وكذلك فعل أطباء عائلة ابن زهر الذين نبغوا في الطب والكيمياء، والعلوم الطبيعية بالمغرب، والأندلس وعددهم ستة كل واحد منهم على رأس قائمة من الأطباء منهم عبدالملك بن محمد الذي درس بالأندلس، ومصر والقيروان. وابنه أبو الفداء زهر ثم ابنه مروان الثالث عبدالملك

زهر الذي طارت شهرته كخلف للرازي في المشرق، وتفوق في الطب الأكلينيكي وألف كتاب: «التيسير في المداواة والتدبير» استجابة لرغبة صديقه وتلميذه أبي الوليد بن رشد. شرح فيه فنون الاستشفاء والعلاج والحمية وأنواعا من الأدوية والأغذية الصحية وطريقة جراحة الجهاز التنفسي وكسور العظام. وترجم كتابه إلى اللاتينية منذ القرن 13م[1].

- ويعتبر الطبيب بن الجزار أحمد بن ابراهيم الذي عاش في القيروان حتى توفي عام 1004م من رواد الطب في المغرب الاسلامي، تضلع فيه واتخذ لنفسه عيادة لاستقبال المرضى وفحصهم وعلاجهم خلال الفصول الباردة أما في فصل الصيف فإنه يغلق العيادة ويسافر مع المراكب الاسلامية في البحر لمعالجة المرضى والجرحى، وقد ساعده ذلك على تطوير معلوماته في الطب والصيدلة ومن مؤلفاته الطبية: قوت الحاضر، وطب الفقراء والمساكين، وكتاب **الأقرباذين**، وكتاب الاعتماد، وكتاب الابدال، ترجم معظمها إلى اللاتينية، وما يزال البعض في الأرشيفات كالأسكوريال، ودرسدن وباريس، وأوكسفورد وقام الطبيب ستيفان بترجمة كتاب الأقرباذين وأعطى له عنوان: زاد المسافرين[2].

- ومن أبرز الأطباء الأفارقة كذلك الذين كان لهم دور رائد في امداد الطب الأوروبي، بزاد لا ينضب من الخبرات الطبية الاسلامية، قسطنطين القرطاجي التونسي الذي ولد بقرطاجة عام 400هـ (1009م) ونبغ منذ صغره في العلوم والمعارف الطبية وغيرها، ثم قام بجولات واسعة في المشرق والمغرب الاسلاميين للاستزادة من المعلومات والمعارف الاسلامية المختلفة وعندما رجع إلى تونس تنصر في ظروف غامضة ورحل إلى صقلية فقربه إليه الأمير النورماني روجر جيسكار، واتخذه كاتبا خاصا له مدة، ثم تخلى

عن منصبه واعتكف في ديرجبل كاسينو وتفرغ للتأليف والترجمة من العربية إلى اللاتينية في علم الطب. وانجز 22 كتابا طبعت كلها بين عام 1536 و 1539م ولكنه أهمل ذكر أصحاب المؤلفات ونسبها إلى نفسه ومنها: كتب ابن الجزار وعلي بن العباس والرازي واسحاق بن سليمان الاسرائيلي[1].

- وقد اعتبر قسطنطين الافريقي من الرواد الأوائل الذين قدموا الطب العربي والخبرة الطبية العربية الاسلامية إلى أوروبا. وهو الذي فتح الطريق لجيرارد الكريموني (1114ـــ1176م) ليبرز، ويمهد لقيام جامعة مونبيلي الطبية وجامعة سالرنو الطبية كذلك[2].

- ولابد هنا من الاشارة إلى الحكيم المرسي أبي القاسم محمد بن محمد الملقب بإبن أندراس البيجائي لأنه هاجر إلى بجاية واستقر بها في حدود (650 ـــ 660هـ) واشتغل بمهنة الطب والتوليد، ومن تلاميذه أحمد الغبريني صاحب كتاب عنوان الدراية الذي ترجم له وقال: «وتبسط للطب طبيبا باحثا جيدا، وله معرفة بعلم العربية وله شركة في أصول الدين جيدة ويشارك مع هذا في فنون غير هذه مشاركة حسنة، وكانت له حدة ذهن وجودة تبسط لاقراء الطب والعربية. وكان حاذقا في عربيته وإذا سئل عن المسألة الطبية كثيرا ما يتوقف عن الجواب إلا بعد نظر.. وحينئذ يقع الجواب وهذا حال حذاق الأطباء... وكان رحمه الله متوليا لطب الولادة ببجاية هو وبعض خواص الأطباء بها. ورحل إلى حاضرة إفريقيا باستدعاء أمير المؤمنين المستنصر بالله بعد أن سمع به وعرف خبره فحضر مجلسه وسئل فأجاب ووافق طريق الصواب وانتظم في سلك أطبائه وكان من جملة

جلسائه... وله رجز نظم فيه بعض الأدوية واستكمله وهو ببجاية وكان رحمه الله شرع في نظم الأدوية المفردة من القانون وكلفني بنظم بعض الأدوية على سبيل التعاون، فنظمت له بعضها وما علمت هل استكملها بعد أم لا، وتوفي بتونس عام 674هـ[1].

- ولابد من الاشارة كذلك إلى الحكيم الدّلّسي أبي عبدالله محمد بن يحي بن عبدالسلام، من مدينة دللس، الذي كان طبيبا، وفقيها، وكاتبا وأديبا، سكن بجاية وتولى منصب القضاء في بعض كورها (وكان له حظ في علم الطب علمية وعملية وكان مزاولا، ومعالجا»[2]. أي أنه كان يزاول الطب نظريا وعمليا يفحص ويعالج.

- ومن الأطباء الآخرين الذين اشتهر بهم الغرب الاسلامي ولهم بصماتهم في الطب الأوروبي علي بن عبدالرحمن الطليطلي، وأمية بن أبي الصلت، وابن رشد، وابن ميمون، ولسان الدين بن الخطيب، وكلهم أصحاب مؤلفات مشهورة وتجارب وخبرات واسعة.

= وهكذا يتضح أن الطب الاسلامي المغاربي قدم لأوروبا فوائد كثيرة ورائدة تتجلى في الكتب الجامعة، التي تناولت ومعظم فروع علم الطب، وفي المادة العلمية الغزيرة المتعلقة بالطب الاكلينيكي، وفي المعرفة الواسعة للعقاقير والأدوية المفردة والمركبة وفي الخبرة الواسعة في العلاج والجراحة ونظام البيمارستانات (المستشفيات)[3].

- ولا تكتمل الصورة دون الإشارة إلى الشريف الإدريسي في ميدان علم الجغرافية، والحسن الوزان في ميدان أدب الرحلات.

- فالشريف الأدريسي الذي ولد بمدينة سبتة عام 1099م يعتبر رائد الجغرافيين المسلمين في الغرب الاسلامي درس في بلاده حتى تضلع في العلوم والمعارف العربية الاسلامية ثم قام بعدة رحلات إلى الأندلس وبلدان المغرب العربي، وجنوب فرنسا، وايطاليا، وصقلية واليونان وآسيا الصغرى وانجلترا، وبعد ذلك اتجه إلى صقلية واستقر بعاصمتها باليرمو وحظي بالرعاية من طرف حاكمها روجر الثاني (1101ـــ1154م) الذي كلفه بوضع كتاب عن جغرافية الأرض فانجزه وسماه: «نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والآفاق، والبلدان والجزر والمدائن والآفاق» وعرف فيما بعد بالكتاب الرجاوي نسبة إلى روجر صاحب الفكرة والاقتراح، وقد زوده الادريسي بحوالي سبعين خريطة. وجمع فيها بين الجغرافية الوصفية والفلكية وقسم الأرض إلى سبعة أقاليم عرضية ووضع خريطة جامعة للكرة الأرضية على كرة فضية. ولاهمية كتاب الأدريسي هذا ترجمه الأوروبيون منذ مطلع القرن 17م وبقي مرجعا لهم طوال ثلاثة قرون وزيادة، وقد أشار فيه إلى ما يثبت أن مسلمي الغرب الاسلامي هم الذين اكتشفوا أمريكا قبل كريستوف كولومبوس وذلك عندما تحدث عن قصة مغامرة الإخوة المغرورين(1).

- والحسن بن محمد الوزان الذي ألف كتاب، وصف إفريقيا. اعتمده الأوروبيون عدة قرون في التعرف على شمال هذه القارة. وقد كتبه الحسن الوزان بالعربية، ثم ترجمه إلى اللاتينية خلال إقامته بالفاتيكان على عهد البابا ليو العاشر. وبقي هذا الكتاب مرجعا لأوروبا حتى القرن 19م(2).